وتناظر هو وسيبويه فقال يونس بن حبيب : الحق مع سيبويه وهذا يغلبه بلسانه . وقال البخاري : مات سنة ست عشرة ومايتين . وقال غيره : سنة خمس عشرة . وقيل انه عاش ثمانياً وثمانين سنة . وروى له أبو داود والترمذي . وحدث الرياشي قال ؛ قال الأصمعي : لم تتصل لحيتي حتى بلغت ستين سنة . وكان الشعر للأصمعي والأخبار لأبي عبيدة . قال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي : كان الأصمعي صدوقاً في كل شيء من أهل السنة . فأما ما يحكي العوام وسقاط الناس من نوادر الأعراب ويقولون : هذا ما افتعله الأصمعي ويحكون أن رجلاً رأى ابن أخيه عبد الرحمن فقال له : ما يفعل عمك ؟ فقال : قاعد في الشمس يكذب على الأعراب ! .

فهذا باطل نعوذ با منه ومن معرة جهل قائليه وكيف يكون ذلك وهو لا يفتي إلا فيما أجمع علماء اللغة عليه ويقف عما ينفردون عنه ولا يجيز إلا أفصح اللغات . وقال أبو قلابة عبد الملك بن محمد : سألت الأصمعي : ما معنى قول رسول ا A : " الجار أحق بسقبه " ؟ فقال : أنا لا أفسر حديث رسول ا ولكن العرب تزعم أن السقب : اللزيق .

وحدث محمد بن زاهر ؛ سمعت الشاذكوني يقول : إذا بعث ا D الخلق لم يبق بالبادية أعربي إلا تظلم إلى ا من كذب الأصمعي عليه ! .

وقال الأصمعي : حضرت أنا وأبو عبيدة عند الفضل بن الربيع فقال لي : كم كتابك في الخيل ؟ فقلت : مجلد واحد ! .

فسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال : خمسون مجلداً ! .

فقال له : قم إلى هذا الفرس وأمسك عضواً منه وسمه ! .

فقال : لست بيطاراً وإنما هذا شيء أخذته عن العرب ! .

فقال لي : قم يا أصمعي وافعل ذلك ! .

فقمت وأمسكت ناصيته وجعلت أذكر عضواً عضواً وبلغت حافره ! .

فقال : خذه ! .

فأخذت الفرس ؛ قال : فكنت إذا أردت أن أغيظه ركبت ذلك الفرس وأتيته . وقال : كنت عند الرشيد فشرب ماء بثلج فاستطابه فقال : الحمد ! .

ثم قال لي : أتحفظ في هذا شيئاً يا عبد الملك ؟ فقلت : نعم ! .

وأنشدته : .

وشربة الثلج بماء عذب ... تستخرج الشكر من أقصى القلب .

شكراً من العبد لنعمى الرب .

فقال لي : يا أصمعي ! .

ما سمع بمثلك ! .

قلت : فالناس معذورون فيه إذ قالوا إنه يضع فإن هذا الاتفاق لاستحضار الأبيات بعيد فهو إما أن تكون الواقعة قد وضعها وإما أن يكون الشعر ارتجله وهو أعظم . وقال : لا ينبغي للإنسان أن يدخل على الملوك بغير الملح من السعر ؛ فإن الرشيد أعطاني في أبيات أنشدته في ليلة ثلاثة آلاف دينار ! .

دخلت عليه ليلة فأنشدته : .

تزوجت واحدة منكم ... فنكت بشفعتها أربعينا .

ونكت الرجال ونكت النساء ... ونكت البنات ونكت البنينا .

وأرسلت أيري في داركم ... فطوراً شمالاً وطوراً يمينا .

فقال الرشيد : هذا يصل المقطوع ويقيم النائم ! .

فزدني من هذا المعنى ! .

فأنشدته : .

أما وا لو يلقاك أيري ... قبيل الصبح في ظلماء بيت .

لكنت ترين أن السحق زور ... وأن الشأن في هذا الكميت .

وقال الأصمعي : وصلت بالعلم وكسبت بالملح . وقال : ذكرت يوماً للرشيد نهم سليمان بن عبد الملك وقلت : إنه كان يجلس وتحضر بين يديه الخراف المشوية وهي كما أخرجت من تنانيرها فيريد أخذ كلاها فتمنعه حرارتها فيجعل يده في طرف حلته ويدخلها في جوف الخروف فيأخذ كلاه ! .

فقال لي : قاتلك ا فما أعلمك بأخبارهم ! .

إعلم أنه عرضت علي ذخائر بني أمية فنظرت إلى ثياب مذهبة ثمينة وأكمامها زهكة بالدهن فلم أدر ما ذلك حتى حدثتني بهذا الحديث ! .

ثم قال : علي بثياب سليمان فنظرنا إلى تلك الآثار فيها ظاهرة فكساني منها حلة . وكان الأصمعي ربما خرج فيها أحياناً فيقول : هذه جبة سليمان ! .

وكان جد الأصمعي علي بن أصمع سرق بسفوان فأتوا به علي بن أبي طالب فقال : جيئوني بمن يشهد أنه أخرجها من الرحل فشهد عليه بذلك فقطع من أشاجعه فقيل له : يا أمير المؤمنين ! .

ألا قطعته من زنده ؟ فقال : يا سبحان ا ! .

كيف يتوكأ كيف يصلي كيف يأكل ؟ فلما قدم الحجاج البصرة أتاه علي بن أصمع فقال : أيها

الأمير ! .

إن أبوي عقاني فسماني علياً فسمني أنت ! .

فقال : ما أحسن ما توسلت به ! .

قد وليتك سمك البارجاه وأجريت لك كل يوم دانقين فلوساً ووا لئن تعديتهما لأقطعن ما أبقاه علي عليك !